

الكتابة الإبداعية للطفل في الكويت: نماذج قصصية من عقد التسعينات

د. زهرة أحمد حسين علي

رئيسة الهيئة العالمية لكتب الأطفال / فرع الكويت

وعضو هيئة تدريس بقسم اللغة الانجليزية

وآدابها، جامعة الكويت

مقدمة:

ما تزال الأدبيات الإبداعية الموجهة للطفل والمكتوبة بأقلام عربية (أي الغير مترجمة) قاصرة عن تلبية مجمل حاجاته المعرفية والنفسية والاجتماعية، وما تزال المكتبة العربية للطفل، مقارنة بالمكتبة الغربية، فقيرة كما وكيفا بالكتب ذات المستوى الرفيع، بيد أنه ظهرت حديثا في مجال أدب الطفل في الكويت إضاءات تدعو إلى التفاؤل بأن معضلة فقر مكتبة الطفل العربية يمكن أن تحل لو توفر الدعم اللازم للكوادر البشرية التي كرست جهودها للارتقاء بأدب الطفل وتوسيع دائرة اهتماماته.

لا تقدم هذه المقالة تقييميا ومسحا شاملا لأدب الطفل المنشور داخل دولة الكويت، بل تسلط المقالة الضوء على منجزات أدبية منتقاة تستحق الإشادة والثناء ونشرت خلال عقد التسعينات، وبعض هذه المنجزات مؤسساتية، وبعضها الآخر قائمة على مجهودات فردية. واختياري للنماذج التي ستتناولها المقالة محكوم بما استطعت أن أطلع عليه. فكما هو معروف لا توجد في دولة الكويت مكتبة مركزية متخصصة بأدب الطفل، تحتوي على كل أو جل ما تم نشره محليا وعربيا ودوليا في هذا المجال.

تجربة مؤسسية رائدة:

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ومشروع الكتاب الشهري للطفل:

كان عام ١٩٩٥ مشهوداً في رحلة الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية مع مهمة الارتقاء بأدب الطفل العربي، إذ كان العام الذي أتمت الجمعية فيه نشر عشرين قصة قام بتأليفها وتنفيذ الرسوم التوضيحية لها مبدعين من جنسيات عربية مختلفة، وقامت الدكتورة سعاد الصباح بتمويل المشروع، وقامت د. تغريد القدسي بالإشراف عليه ومتابعته.

وقد راعت الجمعية أن تكون كتب السلسلة موزعة على فئات عمرية مختلفة، وقد استحوذت الفئة العمرية ٦-٩ سنوات (مرحلة ابتدائية) على ٤٥٪ من الكتب، واستحوذت الفئة العمرية ١٠ سنوات فما فوق (مرحلة متوسطة) على ٢٥٪ من الكتب المؤلفة، بينما استحوذت الفئة العمرية ٥-٨ سنوات على ١٠٪ من السلسلة.

وقد حرصت الجمعية أن تتنوع موضوعات كتب السلسلة، فتطرقت هذه الكتب إلى ١٤ موضوعاً مختلفاً، منها على سبيل المثال، حرب الخليج، سيدنا نوح والعبارة الأخلاقية التي تنطوي عليها أحداث حياته، الزهور، الألوان وكيفية خلطها، حياة النحل وإنتاجه للعسل، الولاء للأرض والوطن، السلوك الاجتماعي السليم، أيام الغوص، معالجة المعتقدات الخرافية بقوة العقل، المخلفات والنفايات وكيفية التعامل معها حماية للبيئة.

ومما يميز كتب المشروع، أنه وقبل صدورها، درست تريبويها، وحكمت نصاً وصياغة من قبل متخصصين بأدبيات الأطفال أو بالموضوعات التي تناولتها القصة، منهم على سبيل المثال د. محمد أمان، سبيل ياجوش مسؤولة مركز أدب الأطفال في مكتبة الكونجرس الأمريكية، د. تركي الحمد، د. سعد عبد الرحمن، د. بهية الجشي وغيرهم.

وهناك خاصية أخرى تميز الكتب المنشورة، وهي العناية الكبيرة التي أعطيت للجانب اللغوي، سواء للمفردات المستخدمة أو لبناء الجمل والعبارات. فقصص السلسلة تخاطب الطفل والناشئ بلغة سهلة مبسطة تتواصل بسلاسة مفرداته وتراكيبه اللغوية مع وعي المتلقي الصغير، وتنقل المعلومة والقيمة الأخلاقية دون خطابية فجأة أو وعظ ثقيل، وتنقل القيمة الشعورية دون اللجوء إلى المبالغة المفتعلة.

بالإضافة إلى كل هذا، تناولت كتب السلسلة جوانب متنوعة من الواقع اليومي المعاش والملموس. وإجمالاً، يمكن القول أن الجمعية راعت أن يتحرك النص الأدبي لكل قصة في السلسلة على ثلاثة محاور. أولاً، محور معرفي يقدم معلومة علمية مفيدة. ثانياً، محور نفسي يولد في وجدان الطفل رؤية إيجابية لنفسه كعنصر هام وفعال ضمن جماعة إنسانية مترابطة. ثالثاً، محور اجتماعي يعلمه السلوكيات الاجتماعية التي تصقل شخصيته.

باختصار، نجحت قصص مشروع الكتاب الشهري للطفل بالتوفيق بين الدور التثقيفي والدور الترفيهي لأدب الطفل.

وجدير بالذكر أن أحد العوامل الهامة التي ساهمت في نجاح مجموعة الكتاب الشهري للطفل، بالإضافة إلى التمويل المطرد وكفاءة الإشراف، هو حقيقة أن هذه المجموعة أتت بعد تجربة رائدة سابقة للجمعية في مجال الكتابة الإبداعية للطفل. ففي عام ١٩٨٢ تولت الجمعية مشروعاً لأدبيات الأطفال، اشرفت عليه الجمعية بالتعاون مع كلية بيروت الجامعية، وكان من فعالياته إقامة ورشة عمل في قبرص لتدريب مجموعة من الكتاب والرسامين العرب المهويين على الرسم والكتابة الإبداعية للأطفال. وأثمرت الورشة خمس قصص بالإضافة إلى مرجعين هما: "دليل كتاب ورسامي أدب الأطفال"، و"دليل لإنشاء مكتبة للأطفال". وياشرت جوليندا أبو نصر، انيتا نصار، هلا خوري إعداد هذين الدليلين. وقد تبنت الجمعية في تنفيذ مشروع الكتاب الشهري للطفل الخطوط التقييمية العامة التي سارت عليها في مشروعها السابق وهي ملائمة مفردات الكتاب للفئة العمرية للمتلقي، جودة المحتوى، الحكمة الفنية القادرة على إثارة الاهتمام، جمال الرسم وقدرته على تعزيز حيوية النص المكتوب، وحسن الإخراج الفني.

وكان للاستحسان الذي لاقاه النتاج الأدبي الإبداعي لمشروع الكتاب الشهري للطفل أثره في حصول الجمعية على عضوية الهيئة العالمية لكتب الأطفال / فرع الكويت (International Board on Books for Young People). وهي منظمة دولية مستقلة للنفع العام مقرها مدينة زيورخ في سويسرا وأهدافها توثيق العلاقة بين الطفل والكتاب والارتقاء بثقافة وأدب الأطفال، وتصدر المنظمة دورية متخصصة في هذا المجال أسماها "Book Bird".

الفن القصصي لمشروع الكتاب الشهري للطفل: نموذجين توضيحين:

١- قصة "القرد بهلوان والفأرتان" (كتابة سلامة كوسا، ورسوم علي روماني)، (الفئة العمرية ٥-٨ سنوات).



يحكي النص قصة قرد اسمه بهلوان شاهد فأرتين هما "هند" و"علا" تتشاجران على قطعة جبن، يشتهي القرد قطعة الجبن ويفكر في كيفية التحايل للحصول عليها فيخبر الفأرتين أنه أتى لمساعدتهما في حل هذه المشاجرة. وبسذاجة تقوم الفأرتان بتسليم قطعة الجبن ليقسمها

مناصفة. ويخبث يقسم القرد قطعة الجبن إلى قطعتين غير متساويتين مشعلا من جديد حدة الخصام. وتستمر الفأرتان بالمشاجرة والجدل لأن قطعتي الجبن غير متساويتين في الحجم ويستمر القرد بقرض قطعة علا مرة ومررة أخرى قطعة هند إصلاحا للخطأ وتحقيقا للعدالة، كما يدعي، حتى لا يبقى من الجبن سوى قطعة صغيرة. تدرك الفأرتان خبث القرد ومكره فتتهجمان سوية عليه وتخمشانه بأظافرهما، ثم تندبان ضياع معظم قطعة الجبن. وتنتهي القصة بقرار الفأرتين تقسيم قطعة الجبن الصغيرة الباقية مناصفة ويحل الوثام بينهما.

يلاحظ أن النص يحكي حكاية عن حيوانات مألوفة عند الطفل وبالتالي يقرب المعنى الرمزي إلى الواقع، ويلاحظ أيضا أن أسماء الحيوانات تنطوي على رمزية مبسطة تعكس دون لبس أو غموض جوهر الشخصية. فالقرد بهلوان، وكما يفهم من اسمه في هذه القصة، رمز الفهولة والخداع ونزعة استغلال الأزمات بين الآخرين (الأصدقاء) لاحتراز منافع ذاتية أنانية. هو إذن رمز للشر، لكنه شر ملموس، ليس ميتافيزيقيا وليس مجرداً وليس له سمة قدرية، ومن هنا يعيه الطفل تماما ويعي أنه شر يمكن للإنسان أن يتجنبه لو استخدم التروي والتفاهم. والقصة أكثر من سرد عن خطر العناد والخصام والذي يستفيد منه العدو، فهي كذلك تعبير جميل ومشوق عن الصداقة، فالنص يصور للطفل كيفية تحول علاقة سلبية وسلوك مضر (نبد الآخر الذي يمكن التماثل معه) إلى علاقة إيجابية وسلوك سليم (قبول الآخر وإيجاد قاسم مشترك معه)، تحقيقا لمصلحة تبادلية. بالإضافة إلى كل هذا، تصور وتشرح القصة تجربة يمر بها كل طفل وهي تجربة المشاجرة والتنازع بين الأقران، وهي تجربة تحدث في المنزل كما أنها تحدث في المدرسة.

٢- **جدتي دلال والألعاب:** قصة د. فريال الشلبي، رسوم غادة الكندري، (الفئة العمرية ٦-٩ سنوات).



تتناول هذه القصة قضية الهوية والانتماء مستخدمة الدمية كعنصر فني ورمزي لمعالجة هذه القضية. وتتخلص القصة في قيام الصغيرة هند بزيارة لجدتها دلال لتعرف ومن خلال حوارها مع جدتها الطريقة التي كانت الأمهات في الماضي يصنعن الدمى لبناتهن، ولتكتشف هند أن جدتها ما زالت محتفظة بالدمى الجميلة التي خاطتها بنفسها لأم هند، وهذه الدمى تستوحى في هيئتها وزينها الطابع الكويتي المحلي.

تبين الرسوم التوضيحية المصاحبة للنص الكثير من مظاهر الحداثة، الاباجورات، الأثاث الغربي في بيت الجدة (وفي هذا الكثير من الواقعية والمصادقية) إلا أن بناء الحكمة والحوار والمركزية التي يضيفها النص على شخصية الجدة تضع القيم الاجتماعية الكويتية الأصيلة في قلب هذه الحداثة، وتخلق مجموعة من الثنائيات الضدية: الطفلة (الجيل الجديد والحداثة) / الجدة (الجيل القديم، والأصالة)، اللعبة الشقراء "بتي" ذات العيون الزرقاء والفرستان القصير/ لولوه وقماشه، الدميتين اللتين خاطتهما الجدة بنفسها ولهما عيون سوداء، وشعر أسود وترتديان الملابس المحتشمة، اللعبة البلاستيكية، أنموذج للساعة الاستهلاكية والتي تنتج بالملايين وتحدث التغريب الثقافي/ اللعبة المصنوعة باليد كتعبير بليغ عن عمق الأمومة والحب وخصوصية كلاهما.

ونص القصة ثرى لأنه يربط، وبأسلوب مرهف وغير مباشر، هذه الثنائيات الضدية بقضية أخرى، وهي الإنجراف نحو نزعة الاستهلاك والتي تشيعها سوق الألعاب المستوردة من المصانع الغربية. فالطفلة الصغيرة تفترض أن كل الأشياء الجميلة تشتري من السوق، فتسأل بعضوية عن المكان الذي يمكن أن تحصل فيه مثل الأشياء الجميلة والتي خاطتها ابرة الجدة، فتشرح الجدة أنهن كن في السابق يصنعن الأشياء من مواد يفترض أنها غير قابلة للاستعمال ويجب التخلص منها، كبقايا الأقمشة، والعلب الفارغة. ويلقى النص الضوء على الكيفية التي قد ترسخ فيها الدمى والألعاب التقريب بين الطفل وانتمائه الاجتماعي، وخطورة طغيان نزعة الاستهلاك والتي تولد في نفس الطفل سرعة الملل من الأشياء المملكة والتي تحيل في وعيه الباطني جميع الأشياء، ومن ضمنها القيم والمفاهيم الايجابية في التراث الاجتماعي والأخلاقي، إلى أشياء لها استخدام نفعي مؤقت. يثير النص كل هذه الموضوعات بأسلوب ماهر، بعيد عن الخطابية الجافة.

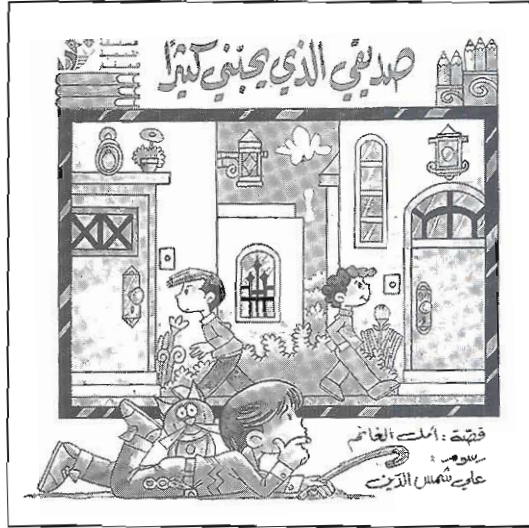
منجزات إبداعية فردية:

اجتذبت الكتابة في مجال أدب الطفل إهتمام العديد من الكتاب في الكويت خلال التسعينات. وقد اخترت من هذا النتاج ثلاثة نماذج أضافت، فيما أرى، جوانب جديدة تتم عن إبداع أدبي، أعرضها هنا حسب التسلسل الزمني لنشرها.

قصة "صديقي الذي يحبني كثيرا" بقلم السيدة أمل الغانم، رسوم علي شمس الدين، (إصدار دار الحداثة لبنان، ١٩٩٥):

حققت أمل الغانم حضوراً على الساحة الإبداعية في مجال أدب الطفل، وقد بدأت مشوارها في هذا المجال مع قصة "متى يأتي القرقيعان؟" (١٩٩٢) ثم تبعه "لماذا يغضب الآخرون" و"ناصر يبحث عن كتابه"، وأخيراً قصة "المستكشفون الثلاثة". ونرى أن أول قصة لها استوحيت التراث ثم أخذ نتاجها اللاحق يتناول موضوعات تتعلق باليومي وواقعه الملموس. تتسم قصة "صديقي الذي يحبني كثيرا" بمستوى فني ونصي رفيع، وجدير بالذكر أن القصة

حصلت على جائزة أفضل مؤلف، أفضل رسام وأفضل ناشر لمعرض الشارقة الدولي للكتاب ١٩٩٦. وتمكن النص من توصيل، وبطريقة مبتكرة ومشوقة، الفكرة الازلية حول الكتاب كصديق صالح لا يفارقنا أبداً.



واستطاعت أمل الغانم أن تعبر عن هذه الفكرة لفئة عمرية صغيرة (أطفال الروضة) بلغة مبسطة وعميقة. والراوي في القصة هو الطفل "عادل" ذو السنوات الأربع والذي يسرد القصة بصيغة فعل الماضي، وحسب فهمه المحدود للواقع. والأسلوب الفني الذي يتحكم بالسرد وبالرسوم التوضيحية للقصة هو الواقعية. فالطفل يرصد بدقة تفاصيل الواقع الذي يراه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يخبرنا الطفل وبصدق وعفوية أنه لا يفهم عدم قدرته على التحكم بمشاعره في مواقف حياتية يومية معينة. يقول النص:

"الولد الشاطر لا يبكي... هكذا تقول أمي. لكنني، عندما أسمعهم (أي أصدقاءه) يقولون مع السلامة، لا أستطيع أن أكون سعيداً. فأبدأ بالبكاء." "يرصد الطفل منطلق الكبار وأن كان لا يفهمه جيداً، والقيمة التي يوصلها النص لوعي المتلقي الصغير هو أن الشاطر انسان يتحكم بانفعالاته في أمور أو منغصات عادية، والتي هي جزء من نوااميس الحياة، كمغادرة الضيف الذي أمتعنا بحضوره، وفي نفس الوقت يشرح الطفل ويعبر عن حالة شعورية حقيقية يدركها جيداً كل طفل في عمر الراوي الصغير. من هنا يتماثل المتلقي الصغير مع الراوي الصغير، لكنه في نفس الوقت يدرك أن هناك منطلقاً آخر يستوجب الاهتمام والتأمل.

والقصة جميلة لأنها لا تتضمن مبالغات خطابية حول دور الكتاب في حياة الطفل. فالأم عند اصطحابها للطفل للمكتبة تشتري له كتاباً واحداً، وتخبره أنهما سيذهبان للمكتبة مرة واحدة كل يوم خميس. وهذا الابتعاد عن المبالغة هو مايعزز مصداقية الحكبة والنص في وعي الطفل المتلقي. ويتضمن النص تفاصيل أخرى توضح، وبطريقة غير مباشرة، متعة القراءة وتأثيرها، فالأم تدع طفلها يختار كتابه بنفسه، وفي هذا تعزيز لفرديية الطفل وشعوره بكيانه كذات مستقلة. أما وعدّها بزيارة المكتبة مرة أخرى ليختار عادل كتاباً آخر يرسخ في ذهن المتلقي أن القراءة وانتقاء الكتب فعل يحدث ويجب أن يحدث دائماً، وهو فعل ينطوي دائماً على بهجة وإثارة، هذه التفاصيل تجعل عبارة النهاية في الكتاب "الله متى يأتي يوم الخميس"

عبارة بسيطة لكنها بليغة وفعالة وصادقة في آن واحد .

"قصة منيرة والحلم القديم" بقلم د. كافية رمضان، ورسوم عفت حسني، (منشورات

مجلة سدر، ١٩٩٥):

"منيرة والحلم القديم" من الأعمال التي تتبنى أسلوب شريط الرسم التوضيحي وتتناول

ويشكل بانورامي، سريع الإيقاع، حياة عائلة كويتية من جزيرة فيلكا في أواخر الأربعينات وحتى منتصف الستينات من هذا القرن. ويوضح حوار الشخصيات نبض الحياة الأخذ بالتسارع في تلك الفترة التاريخية، و Frahm يحاولون مجازاة تقلبات الحياة الاقتصادية بصبر وجلد. تبدأ القصة بمغادرة عائلة بو حمد جزيرة فيلكا إلى مدينة الكويت وتركها لمنزلها القديم بحثاً عن فرصة عمل أفضل، وتحقيقاً لطموح الأب في دخول تجارة الأقمشة.



لكن العائلة تضطر للبقاء في مدينة الكويت

حيث يتوفر تعليم لمنيرة وأخواتها. وبينما نرى الأب والأم يتحدثان عن صعوبات التأقلم مع حياتهم الجديدة وكيفية مجابهة عنصر الشر والذي يتمثل

في شخصية "أبو إبراهيم" المرابي والذي يضطر أبو أحمد (أبو منيرة) لأن يرهن عنده بيت العائلة القديم في فيلكا ليحصل على قرض يساعده على الشروع بتجارة الأقمشة، نسمع صوت منيرة، وهو صوت الحنين الرومانسي إلى حياة الفطرة والبساطة التي لا تشوبها النزعة المادية والنفعية، وتسرد القصة التحولات الكثيرة في حياة العائلة: موت أبو حمد، ثم الكوارث الطبيعية، المطر في سنة الهدامة، واضطرار العائلة للسكن مؤقتاً في المدرسة المباركية ثم السكن في الحيوان، حتى حصولهم على سكن حكومي.

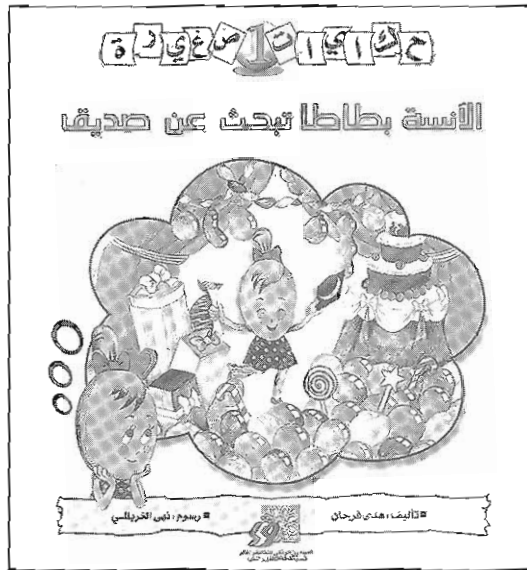
وتضفي القصة على صورتي الأب والأم، رمزي جيل ما قبل ظهور النفط، هالة مثالية، فتساوى معاني الرجولة مع مآثرة الاعتماد على النفس، واتخاذ المبادرة، والإيمان العميق، والاهتمام بمستقبل الأطفال، بنينا وبنانا. وتساوى معاني الأوثة مع الإباء والصمود والإيثار والتحرر المستنير ونزعة الاستقلال الاقتصادي. فأم حمد، بعد ترملةا تواصل المسيرة التي بدأها زوجها، وتكمل طموحه فتستفيد من بضاعة زوجها من القماش وتشتري ماكينة خياطة، وتساندها جارتها في مواجهة حياتها الصعبة بعد ترملةا.

ويرأي أن أهم ما يميز القصة، والتي تخاطب الفئة العمرية ١٣-١٦ سنة، هو نزعتها النسوية، أي تعزيز النص لمكانة المرأة ورسمه صورة إيجابية لها تقوض الصورة النمطية

والمقبولة عنها، والتي تصورها عادة ككائن له امكانيات محدودة وطاقات محصورة. ونرى مظاهر هذه النزعة ليس فقط في تفكير وسلوكيات الأم، بل نراها كذلك في شخصية الأب المستنير الذي يصر على حصول بناته على تعليم متقدم لأنه حق انساني راسخ لهن. وبسبب رغبته هذه تظل الأم المترملة مع أطفالها في مدينة الكويت ليستكملن بناتها الدراسة الثانوية. تجعل الكاتبة من هذه النزعة النسوية موقفا فكريا وانسانيا له جذور راسخة في التراث الاجتماعي الكويتي، أي أن النص لا يبرزها كظاهرة غريبة مستحدثة ودخيلة، بل يقدمها كنظرة فلسفية واخلاقية حول دور العلم في الحياة ويصور أن هذا الدور ينبع من العقل والحكمة. انطلاقا من هذه النظرة، تعتبر الأم استكمال بناتها تعليمهن العالي بمثابة وصية يجب أن تنفذ. تنتهي القصة بسفر منيرة إلى القاهرة وعودتها مهندسة، ثم زواجها وبناء منزلها، بأسلوب يستوحى في فنه المعماري طابع بيتهم القديم في فيلكا. وهنا يتحقق حلم منيرة القديم لكن في صيغة واقعية وحداثية.

خلاصة، تنمي قصة "منيرة والحلم القديم" حسا تاريخيا عند المتلقي القارئ، كما أنها ترسخ في وجدانه جمال تقاليد اخلاقية مجتمعية أصيلة، فالبرغم من تصوير القصة لتقلبات الدهر، إلا أنها تمجد وينيرة تفاؤلية قيمة الانتماء للأرض والتعاقد الأسري والصبر واللجوء إلى القرار العقلاني المتروى عند مواجهة الأزمات.

الأنسة بطاطا تبحث عن صديق، بقلم هدى راشد فرحان، ورسوم نهى الغريللي، (إصدار الصندوق الوقفي للثقافة والفكر، الأمانة العامة للأوقاف، ١٩٩٩).



يقوم بناء الحبكة في هذه القصة، والتي تخاطب الفئة العمرية ٥-٨ سنوات، على عنصرين فنيين: المفردة المتكررة (motif)، أي تكرار فعل ما وتكرار عبارات معينة، وعنصر التنوع. وملخص القصة أن الأنسة بطاطا نجحت في المدرسة وطلبت من أمها أن تقيم لها حفلة كبيرة. بيد أن الأم تخبرها أنه لن يكون هناك حفلة لأن ليس لديها أصدقاء. ومنطق الأمور والعرف الاجتماعي يتطلبان وجود أصدقاء لتقام الحفلة. فتخبر الأنسة بطاطا أمها أنها سوف تبحث عن أصدقاء في الحديقة وتحذرنا أنه إذا غابت الشمس ولم تجد بطاطا صديقا فلن يكون هناك حفلة ولا

هدايا. وهكذا تلتقي بطاطا بالأنسة موزة ثم الأنسة برتقالة ثم السيد أناناس ثم الأنسة تينة، وجميع هؤلاء على قدر كبير من اللطف والدمائة. لكن غرور الأنسة بطاطا ورفضها لشكل